

أثر البيئة الجامعية في لغة الطلاب - دراسة في المستوى الصوتي في ضوء علم اللغة الاجتماعي

The Influence of a University's Environment on Students' Language

ريم المعايطه

Reem Al-Maaita

قسم العلوم الإنسانية، كلية الهندسة التكنولوجية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن

بريد الكتروني: reem_maaita@yahoo.com

تاريخ التسليم: (٢٠١٢/٧/١)، تاريخ القبول: (٢٠١٣/٧/١٤)

ملخص

ثمة عوامل تؤثر في تغيير لغة الفرد منها: النوع (الجنس) والعمر، والعرق، والمعتقد الديني والمستوى الاقتصادي والثقافي، والبيئة الجغرافية، والمواقف الاجتماعية... وتبحث الدراسة أثر البيئة الجامعية في تغيير لغة الطلاب، وتقتصر على المستوى الصوتي، متناولةً بعض ظواهره التي تختلف باختلاف جنس الطالب، وباختلاف مكان وجوده وزمانه، وتصل إلى نتيجة مؤداها أن التغيرات اللغوية (اللهجية) في كلام الطلاب ناجمة عن عوامل اجتماعية وأخرى نفسية، تقودهم إلى أن يختاروا السلوك اللغوي، الذي يتناسب والموقف الذي يعيشونه، والمكان والزمان اللذين يكونون فيهما، فهي تحملهم على أن يكونوا أكثر استجابة للأعراف اللغوية الاجتماعية السائدة في البيئة الجامعية. وقد أصبحت الجامعات في معظم الدول أماكن لاختلاط الجنسين: الذكور والإناث، وأبناء البيئات والطبقات المختلفة على اختلاف لهجاتهم، فنشأ عن ذلك أن اضمحلت - إلى حد ما - الفروق اللغوية البارزة فيها، ونشأت لهجة جامعية متوسطة، تميل إلى الفصيحة بوصفها لغة العلم، وتميل إلى اللغة الاجتماعية السائدة عند غالبية الطلبة.

Abstract

There are some extra-linguistic factors that typically influence change, viz, gender, age, race, religion, economic and cultural levels, eographical environment, and social contexts. This study handles different aspects of changes in university student's aspects and correlate them with social and psychological dimensions which determine the students selections of certain phonological patterns compatible with

context, place and time. These encourage students to be more responsive to on-campus prevailing forms. Levelling took place on campuses, where moderate university accent has emerged, and the majority accent which is closes to the standard model.

المقدمة

اللغة ظاهرة اجتماعية مشتركة بين جميع أفراد المجتمع، والكلام هو استعمال لهذه الظاهرة لتسجيل رسالة ما، فاللغة "نظام عام يشترك الأفراد في اتباعه، ويتخذونه أساساً للتعبير عما يجول بخواطرهم، وفي تفاهمهم بعضهم مع بعض"^(١)، "ويعرف فرناند دي سوسير- وهو من أهم لغويي القرن العشرين- اللغة أنها حقيقة اجتماعية، وهذا التعريف يشير إلى عدد من الحقائق أهمها: أن اللغة هنا تعني أنها وسيلة للتواصل، فالمجتمعات مبنية على اللغة، ولا يستطيع بشر أن يعيش بغير كلام ولا لغة"^(٢)، "واللغة نظام رمزي من المنطوق والمكتوب يتواصل به البشر، بعكس الحيوانات التي تتواصل مع بعضها بالأصوات وحركات الجسد"^(٣)، "وينبغي أن تحتوي اللغة على ثلاثة أمور، هي: النظام الصوتي، والألفاظ، والمستوى الإعرابي"^(٤).

وتعرف **اللهجة** أنها "تغير في اللغة الأصلية تستخدمه مجموعة من الأشخاص، ولهذا التغير خصائص في المفردات والقواعد والأصوات، تميزه عن تغيرات أخرى تعرضت لها اللغة نفسها. وثمة نوعان رئيسان للهجة: الأول خاص بمجموعة ما تسكن منطقة جغرافية واحدة، والنوع الآخر هو الذي يستخدمه أشخاص في فئة اجتماعية واحدة، أو أشخاص في مستوى تعليمي واحد أو أصحاب مهنة واحدة"^(٥).

ويرى مونتجمري أن اللغة وثيقة الصلة بالمجتمعات، وأن وظيفتها تتحدد من خلال تفاعلاتنا وعلاقاتنا الاجتماعية، كما يرى أن الطريقة التي اعتدنا أن نرى الأشياء بها هي التي تحدد أنماط لغتنا وأشكالها^(٦).

(١) وافي، علي عبد الواحد. (١٩٧١) اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ص ٤.

(2) Coulmas, Florian (2005): Sociolinguistics: The Study of Speaker's Choices, First Published, Cambridge University Press. P: 3-4.

(3) Safra, Jacob E: The New Encyclopedia Britannica, Chairman of the Board Ilan Yeshua, Chief Executive Officer, 15th Edition V: 7, P: 147, The World Book Encyclopedia, World Book International, A Scott Fetzer Company, Printed in U S A V: 12, P: 49.

(4) The World Book Encyclopedia, V: 12, P: 50.

(5) The New Encyclopedia Britannica, V: 4, P: 63, the Encyclopedia Americana, Printed and Manufactured In U S A V: 9 P: 54, the World Book Encyclopedia, V: 5, P: 152.

(6) Montgomery, Martin. (1995): An Introduction to language and society, Routledge, Taylor & Francis, London and New York, second edition.

ويُعدّ علم اللغة الاجتماعي فرعاً من فروع علم اللغة التطبيقي، ويعرّفه هيدسون بأنه "دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع"^(١)، في حين يرى "بيارأشار" أننا "لا نبالغ كثيراً عندما نعترف بأن اللغة ككل موضوع اجتماعي"^(٢)، ويؤكد ماريوباي علاقة اللغة بالمجتمع، فيقول: "إن اللغة لها علاقة وثيقة بعلم الإنسان وعلم الاجتماع، باعتبارها نتاج علاقة اجتماعية"^(٣)، ويكمن هدف علم اللغة الاجتماعي في إيجاد أحسن فهم لبنية اللغة من جهة، واستعمالها والتواصل بها من جهة أخرى"^(٤).

ويسعى علم اللغة الاجتماعي إلى إيجاد روابط بين التركيب الاجتماعي والتركيب اللغوي؛ فالتركيب الاجتماعي يؤثر في شكل التركيب اللغوي، كما أنّ التغيرات في الخطاب اللغوي تحدث في ضوء تغيرات الواقع الاجتماعي"^(٥).

ويمكن معرفة بيئة المتحدث من كلامه، لذلك "تبدو العلاقة متبادلة، حيث يؤثر المجتمع على اللغة، كما أنّ المجتمع والبيئة ينعكسان من خلال اللغة"^(٦)، ويؤكد تلك العلاقة الوثيقة بين المجتمع واللغة أن التغيرات في المجتمع قد تجرّ معها تغيرات لغوية أيضاً"^(٧).

وتختلف اللغة (اللهجة) باختلاف البيئات، كما أنها "تتنوع بتنوع فئات المجتمع وطبقاته وأفراده، سياسياً واقتصادياً وثقافياً وفكرياً، بل إن الفرد الواحد قد يتنوع كلامه أو لهجته بحسب المواقف والظروف الاجتماعية التي تُلّفه في أثناء حديثه"^(٨)، في حين يرى علي عبد الواحد وافي أن "اللغة قد تتأثر في بعض نواحيها بظواهر غير اجتماعية، كالظواهر الفيزيولوجية والنفسية والجغرافية، وإن كان أثر هذه الظواهر ليس شيئاً مذكوراً بجانب أثر الظواهر الاجتماعية الخاصة"^(٩).

إذن، ثمة عوامل تؤثر في اللغة، منها الاجتماعية السياسية، والاجتماعية النفسية، التي تتمثل في ما بين أفراد المجتمع من فروق في النظم الاجتماعية، والأعراف، والتقاليد، والعادات، والثقافة، ومناحي التفكير والوجدان ... فمن الواضح أن الاختلاف في هذه الأمور يتردد صداه

(١) هيدسون (١٩٩٠م)، علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عياد، مراجعة نصر حامد أبو زيد ومحمد أكرم سعد الدين، عالم الكتب - القاهرة، الطبعة الثانية، ص ١٢، وانظر:

- R. A. Hudson, (1996), Sociolinguistic: Second Edition, Cambridge University Press, P: 4

(٢) أشار، بيار، سوسولوجيا اللغة، تعريف عبد الوهاب ترّو، منشورات عويدات، بيروت، ص ١٢٨.

(٣) أسس علم اللغة (١٩٧٣)، ترجمة أحمد مختار عمر، جامعة طرابلس، ص ٤٢.

(4) Wardhaugh, Ronald. (1998), An Introduction to Sociolinguistics: Third Edition, Blackwell Publishers. P: 12.

(٥) السيد، إبراهيم صبري (١٩٩٥)، علم اللغة الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ١، ص ٧، ٩.

(٦) شتاء، السيد علي (١٩٩٨)، علم الاجتماع اللغوي، مركز الإسكندرية للكتاب، ص ١٨١، وانظر: ص ١٨٥.

(٧) المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٨) بشر، كمال (١٩٩٧م)، علم اللغة الاجتماعي، دار غريب - القاهرة، الطبعة الثالثة، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٩) وافي، علي عبد الواحد، اللغة والمجتمع، ص ٧.

في أداة التعبير، ومن هذه العوامل أيضاً العوامل الجغرافية، التي تتمثل في ما بين أفراد المجتمع من فروق في الجوّ وطبيعة البلاد وبيئتها وموقعها، فتلك الفروق الطبيعية تؤدي إلى فروق في اللغات (اللهجات) ^(١).

وقد أفاض كثير من الدارسين في الحديث عن الأثر الجغرافي في لغة الأفراد ^(٢). كما تتغير مستويات اللغة وفق المواقف الاجتماعية، والموضوعات المتحدّث فيها، ونوعية المستمعين والمشاركين في الحديث، ووفق الزمان والمكان، وهذا جزء طبيعي من السلوك الاجتماعي والسلوك النفسي، فالإنسان غالباً يتكيف لغوياً مع مختلف هذه الأمور ^(٣).

ويقوم سياق الحال "على تحليل اللغة في ضوء رصد علاقاتها بالسمات والمتغيرات في العالم الخارجي الذي تجري فيه" ^(٤)، وهو جملة العناصر المكوّنة للموقف الكلامي، ومن هذه العناصر:

شخصية المتكلّم والسامع، وتكوينهما الثقافي، وظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة، والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي، كحالة الجوّ، إن كان لها أثر، والوضع السياسي، ومكان الكلام، وكلّ ما يطرأ في أثناء الكلام من انفعالات، وأثر النصّ الكلامي في المشتركين، كالإقناع أو الألم، أو الإغراء، أو الضحك أو السخرية... ^(٥). وهكذا يبرز سياق الحال الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلّم وسائر المشتركين في الموقف الكلامي ^(٦).

ويقول السيد علي شتا في معرض حديثه عن اللغة والسياق الذي يعيش فيه الشخص: "ثمة واقع آخر يفرض نفسه على الاختلافات اللغوية بين الأفراد، غير الطبقيّة الاجتماعية والجماعات العرقية والعمر والنوع، ويتمثل هذا الواقع في طبيعة السياق الاجتماعي الذي يجد الفرد نفسه فيه، حيث يستخدم المتكلم نفسه لهجات لغوية مختلفة في مواقف مختلفة ولأغراض مختلفة. فإذا

(١) وافي، علي عبد الواحد (١٩٦٢م)، فقه اللغة، الطبعة الخامسة، ص ١٢٩، و"اللغة والمجتمع" للمؤلف نفسه، ص ٧٦-٧٨.

(٢) وافي، علي عبد الواحد، اللغة والمجتمع، ص ٧٧-٧٨، وعلوان، محمد السيد (١٩٩٥)، المجتمع وقضايا اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ٥٩-٦١، وشتا، السيد علي، علم الاجتماع اللغوي، ص ١٧٩، والسيد، صبري إبراهيم، علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياها، ص ٢٠٩، وخرما، نايف (١٩٧٩)، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الثانية، ص ٢٣٠-٢٣١، وهدسون، علم اللغة الاجتماعي، ص ٧٢-٧٤.

(٣) انظر: لطفي، مصطفى (١٩٧٦)، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي دراسة في علم اللغة الحديث، معهد الإنماء العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ص ٦٠، وعلوان، محمد السيد، المجتمع وقضايا اللغة، ص ١٣٥-١٣٩، والسيد، صبري إبراهيم، علم اللغة الاجتماعي، ص ٢١١، وخرما، نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص ٢٣١.

(٤) الموسى، نهاد (١٩٨٠م)، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ص ٨٥.

(٥) الموسى، نهاد. نظرية النحو العربي، ص ٨٥-٨٦، والسعران، محمود (١٩٩٢). علم اللغة، مقدّمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ص ٣٣.

(٦) الموسى، نهاد. نظرية النحو العربي، ص ٨٦، والسعران، محمود. علم اللغة، ص ٣٣.

ما تحدّث الشّخص مع النّاس الذين يعمل معهم، فإن لهجته سوف تختلف عن اللهجة التي يستخدمها وينطق بها في البيت مع أفراد أسرته. وبذلك يمكن القول بأن الموقف المهني تمخّص عنه اختلافات وتمايزات لغوية. ولا شك في كون هذه التّنوّعات اللغوية تجرّ معها اختلافات في المفردات والقواعد والتّعبيرات ونبرات الصوت عند نطق المفردات والأسلوب. وتعتبر التّنوّعات اللغوية الموقّفة بمثابة تنوعات فرعية على مستوى اللهجة الاجتماعية أو الإقليمية. وقد تحدّث التحولات اللغوية الموقّفة بين لهجات مختلفة، وفي هذه الحالات، قد تُستخدم لهجة معينة في موقف رسمي، ثم تُستخدم لهجة أخرى في موقف غير رسمي" (١).

كما تُحدّد اللهجة الجغرافية أو الاجتماعية للفرد هويته المحليّة ووضعه في المجتمع (٢).

إذن يمكن القول: إنّ اللغة ظاهرة اجتماعية تتأثّر بالتحوّلات الاجتماعية، ونفسية تتأثّر بالقدرة الشخصية ومدى انسجامها مع المجتمع، ويرى إسماعيل عمارة أنّ المجامع اللغوية يجب أن تراعي الأسس النفسية والاجتماعية والاقتصادية عند تعريب المصطلحات (٣).

ويُقصّد بلغة الطّلاب في هذه الدراسة الظواهر اللغوية الصوتية التي تظهر في لغتهم (لهجتهم) في الحرم الجامعيّ أو في خارجه.

أهمية الدراسة وهدفها

تكمن أهمية الدراسة في تفسير الاختلاف اللغويّ بين المتكلّمين بلغة واحدة في بيئتين مختلفتين، فقد ذُكر سابقاً أن اللغات (اللهجات) تختلف باختلاف البيئات، فمثلاً لهجة شماليّ الأردن تختلف عن لهجة جنوبيّه، ولهجة وسطه تختلف عن الاثنتين، وإن كانت تجمعها ظواهر عامة مشتركة، والخصوصية ظاهرة في مختلف مستويات اللغة العربية. أما هدف الدراسة، فهو بيان أثر البيئة الجامعية على لغة الطلبة الذكور والإناث في مرحلة البكالوريوس، ممن يدرسون في الجامعة الأردنية وجامعة مؤتة، وتسعى إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- هل تتغيّر لغة الطلبة الذكور والإناث عند دخولهم البيئة الجامعية؟ وإن حدث هذا التغيّر، فكيف يكون؟
- وإلى أي مدى يحافظون على لغتهم الأصلية في داخل الحرم الجامعيّ؟
- وهل يواجهون مشكلاتٍ نفسيةً عند التحدّث بلغتهم (لهجتهم) الأصلية حال دخولهم البيئة الجامعية؟
- وما الظواهر اللغوية الصوتية الأصلية في لغتهم؟ وما الظواهر اللغوية الصوتية الطارئة عليها؟

(١) شتاء، السيد علي. علم الاجتماع اللغوي، ص ١٨٩.

(٢) بشر، كمال. علم اللغة الاجتماعي، ص ٢١٩، وعمر، أحمد مختار (١٩٩٦)، اللغة واختلاف الجنسين، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ص ٣٣.

(٣) عمارة، إسماعيل (٢٠٠٠). تطبيقات في المناهج اللغوية، دار وائل للنشر، الطبعة الأولى، ص ٢٢٢.

مجتمع الدراسة وعينتها

اقتصرت الدراسة على بيئة من بيئات المجتمع، هي البيئة الجامعية، وعلى مجتمع معين في هذه البيئة هو مجتمع الطلبة الذكور والإناث، الذين يدرسون في الجامعة الأردنية وجامعة مؤتة، وقد تناولت الفروق اللغوية الصوتية بينهم فقط.

وتختلف بيئة الجامعة باختلاف طلبتها؛ لذا فإن اختلاف طلبة الجامعة الأردنية عن طلبة جامعة مؤتة مثلاً، أدى إلى اختلاف هاتين البيئتين الجامعيتين، فلغة طلبة الجامعة لغة خاصة لخصوصية بيئتها (الجامعة)، وهي العادات اللغوية لهؤلاء الطلاب في وقت محدد (وقت الدراسة الجامعية) وفي مكان محدد (الحرم الجامعي).

أما عينة الدراسة، فتضم سبعين طالباً وطالبة من طلبة مرحلة البكالوريوس، وقد قسّمت إلى عينتين: الأولى من طلاب بعض قرى جنوبي الأردن، وكان عددها أربعين طالباً وطالبة، تدرس عشر طالبات منها في الجامعة الأردنية، وعشر طالبات في جامعة مؤتة، ويدرس عشرة طلاب في الجامعة الأردنية، وعشرة طلاب في جامعة مؤتة.

أما العينة الثانية، فكانت من طلاب مدينة عمان في الأردن، وكان عددها ثلاثين طالباً وطالبة، يدرس منهم عشرة طلاب وعشر طالبات في جامعة مؤتة، وتدرس عشر طالبات في الجامعة الأردنية. وقد اختير أفراد العينتين عشوائياً مع مراعاة عملي الجنس ومنطقة السكن، واستخدم أسلوب المقابلة الشخصية المباشرة مع أفراد العينتين، كما أُجري الحوار نفسه معهم.

بعض الظواهر اللغوية الصوتية

لوحظ في أثناء الحوار مع أفراد العينتين وجود ظواهر صوتية مميزة في لغتهم؛ فالعينتان كلتاهما تجريان بعض التعديلات اللغوية عندما تدخلان البيئة الجامعية؛ أي إن الطالب ينوع في سلوكه اللغوي وفقاً للموقف الذي يعيشه، ووفقاً للمكان الذي يكون فيه، فهو يستعمل في تعامله مع أفراد أسرته لغةً (لجهة) قد لا يستعملها مع زملائه في الجامعة^(١)، "فيأخذ لغة الجماعة ويتفاعل معها، وتؤثر فيه ويؤثر فيها، وهو يعدل فيها ما دام حياً"^(٢).

وقد وجد أن طلبة العينة الأولى قد عانوا في بداية الدراسة الجامعية - وهذا يُظهر أثر عامل الزمن في تغير اللغة - فالإنسان حساس بطبعه إزاء إتقان اللغة الجامعية، التي تميل إلى التقليل من العادات اللغوية غير الشائعة، أو غير المتداولة بين أفراد مجتمع الطلبة في الحرم الجامعي، وبهذا وجد أن تلك العينة كابدت نفسياً لمراعاة الجس الاجتماعي، أو الأعراف اللغوية الاجتماعية السائدة في البيئة الجامعية^(٣).

(١) بشر، كمال. علم اللغة الاجتماعي، ص ٢٢٠.

(٢) السعران، محمود. (١٩٦٣م) اللغة والمجتمع: رأي ومنهج، دار المعارف، الطبعة الثانية، ص ٢٢.

(٣) عمارة، إسماعيل. تطبيقات في المناهج اللغوية، ص ٢٢١.

كما تبيّن من المقابلة وجود ظواهر صوتية مميزة لدى أفراد العينة الأولى، وقد حاولت التّخلّص منها في أثناء وجودها في الجامعة، وسيقتصر الحديث على عدد قليل منها لاختصار الدراسة، ومن هذه الظواهر:

١. ظاهرة الكشكشة

وهي ظاهرة قديمة، يراد بها قلب كاف المؤنث شيئاً، "وذلك أنّهم أرادوا البيان في الوقف؛ لأنها ساكنة في الوقف فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث، وأرادوا التّحقيق والتّوكيد في الفصل ... وذلك قولك إنش ذاهبة، وما لش ذاهبة، تريد، إنك، ومالك" (١). ويرجّح إبراهيم أنيس أنّ ما نطق قديماً هو (تس) وليس شيئاً، والدليل على ذلك شيوع هذه الظاهرة في اللهجات العربيّة الحديثة على صورة "تس" (٢). إذن فهذا ينبيء باستمرار تلك الظاهرة حتّى يومنا هذا في كثير من المناطق العربيّة، مثل: بعض نواحي الأردن، وفلسطين، والعراق، وأساسها أنّ صوت الكاف المكسورة (كاف المخاطبة) يتحوّل من صوت أحادي المخرج، وهو الطّبق إلى صوت مركّب من صوت التاء الأسنانيّ اللثوي (t)، وصوت الشّين الغاري (š)؛ أي أصبح ينطق على نحو (tš)، ثم طرد الباب على وتيرة واحدة عند من ينطق هذه الظاهرة اللهجيّة؛ فعمّت الكاف، سواء أكانت من بنية الكلمة أم كافاً للمؤنث، ولكنها لا تطرد عندهم في كل الكلمات المحتوية على الكاف. وقد لوحظت تلك الظاهرة في كلام أفراد العينة الأولى، ومن أمثلتها قولهم (٣) في كيف (تشيّف)، وفي كبير (تشيبر)، وفي كيف (تشيّف).

وقد لوحظ أنّ تلك العينة تخلّج من هذه الظاهرة الصوتية، في تلك البيئة التي تغلب عليها اللغة المدنية، أو التي نقلت فيها مثل هذه الظواهر الصوتية، من حيث النظرة الاجتماعيّة والنفسية؛ لهذا نجدتها تتخلّى عنها في الجامعة، وتعود إليها خارجها (٤)، وهذا ينطبق على الجنسين: الذكور والإناث، لكنه يبرز عند الإناث. ولعلّ الجنسين من تلك العينة يميلان إلى ترك هذه الظاهرة؛ بسبب الاختلاط بين الذكور والإناث في تلك البيئة، ولغاية استشعار الرقي من كلا الطرفين، والتخلّص مما فيه خشونة لغوية غير متوافرة عند بقية أفراد البيئة الجامعية، فهذه البيئة تميل إلى تغليب الكاف الفصيحة غير المكشكشة؛ لأنّ الفصحى تختار هذه السبيل، فالبيئة الجامعية تنتصر للفصيحة بوصفها لغة العلم والثقافة (٥).

(١) انظر: سيبويه. الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج٤، ص ١٩٩، وابن جني. (١٩٩٠) الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ودار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الرابعة، الجزء الثاني، ص ١٣.

(٢) أنيس، إبراهيم. (١٩٦٥) في اللهجات العربيّة، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ١٢٥.

(٣) يكثر إبدال الكاف المؤنثة كافاً مكشكشة أيضاً عند أهل قرى شماليّ الأردن.

(٤) عمارة، إسماعيل. تطبيقات في المناهج اللغوية، ص ٢٠٤.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٠٤.

٢. ظاهرة كسر أوائل الأفعال المضارعة

وهي ظاهرة صوتية قديمة أيضاً، استمرت حتى يومنا هذا في بعض المناطق العربية، وقد ذكر سيبويه هذه الظاهرة، فقال: "هذا باب ما تُكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء، كما كسرت ثاني الحرف حين قلت: فَعِلَ "فقال" وذلك في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز، وذلك قولهم: أنتَ تَعْلَمُ ذلك، وأنا إِعْلَمُ، وهي تَعْلَمُ، ونحن نَعْلَمُ ذلك، وكذلك كل شيء فيه فَعِلَ من بنات الباء والواو التي الباء والواو فيهنّ لَامٌ أو عين، والمضاعف. وذلك قولك: شَقِيتَ فأنتَ تَشْقَى، وخَشِيتُ فأنا إِخْشى، وحَلْنَا فنحن نَحْال...^(١). وقد أطلق ابن جني عليها مصطلح (تثناة بهراء)، فقال: "أما تثناة بهراء فإنهم يقولون: تَعْلَمون وتَفْعَلون، وتَصْنَعون بكسر أوائل الحروف^(٢). ويقول رمضان عبد التّواب: "وهذه الظاهرة سامية قديمة، توجد في العبرية، والسريانية والحيشية. والفتح في أحرف المضارعة، حادث في رأيي، في العربية القديمة؛ بدليل عدم وجوده في اللغات السامية الأخرى، وبدليل ما بقي من الكسر في بعض اللهجات العربية القديمة. وهناك دليل ثالث، على أصالة الكسر في حروف المضارعة، وهو استمراره حتى الآن في اللهجات العربية الحديثة... وقد بقيت آثار هذا القديم، في العربية الفصحى نفسها، في بعض الأمثلة؛ إذ يُكسر في الفصحى حرف المضارعة في: "إخال"^(٣).

ومن أمثلة هذه الظاهرة عند أفراد تلك العينة: نَذَهَبُ بدلاً من نَذْهَبُ، وتَكْتَبُ بدلاً من تَكْتُبُ، ويدرس بدلاً من يَدْرُسُ، وقد وسَّعوا الظاهرة لتشمل أوائل الأفعال الماضية أيضاً، فقالوا مثلاً: تَدَارِسُوا بدلاً من تَدَارِسُوا، كما كسروا الحرف الأول من فعل الأمر، نحو: كُنْ بدلاً من كُنْ، وقد حاول أفراد تلك العينة، ذكوراً وإناثاً، التخلُّص من هذه الظاهرة قدر المستطاع.

٣. ظاهرة كسر أواخر الكلمات المتصلة بكاف المخاطبة

وهي سمة عامّة عند أهل جنوبي الأردن، ومن الأمثلة عليها قولهم: اِكْتَابِكِ (اكْتُ / تَابُ / كِ) بدلاً من كِنَابِكِ (كُ / تَابُ / كِ) في الفصيحة، واِكْتَابِكِ (اكْتُ / تَابُ / كِ) في اللهجة المدنية، وهي لهجة أفراد العينة الثانية، وشُعْبَتِكِ (شُعُ / بَتُ / كِ) بدلاً من شُعْبَتِكِ (شُعُ / بَتُ / كِ) في الفصحى، وشُعْبَتِكِ (شُعُ / عُبُ / تِكِ) في اللهجة المدنية.

وبهذا نلاحظ أنّ أساس الاختلاف في نطق العينتين يقوم على تغيير ترتيب المقاطع في المثال الثاني، ونشوء المقطع الصوتي الرابع (ص ح ح ص): tab، في المثال الأول عند العينة الأولى (اِكْتَابِكِ، دون وجود مصوِّغ له، فهذا "المقطع لا يجوز في العربية الفصحى، إلا في آخر

(١) سيبويه. الكتاب: ٤ / ١١٠.

(٢) ابن جني. الخصائص: ١٣/٢، وانظر: السيوطي. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد الجاوي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الجزء الأول: ص ٢١١.

(٣) عبد التّواب، رمضان. (١٩٩٤) فصول في فقه العربية، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ١٢٥، وفيه يسمي ما هو نحو إخال "الركام اللغوي للظواهر المندثرة في اللغة"، "أي إنّ الظاهرة اللغوية، قبل أن تموت قد تبقى منها أمثلة، تعين على معرفة الأصل"، ص ١٢٦.

الكلمة في حالة الوقف عليها، أو في وسطها بشرط أن يكون المقطع التالي له، مُبتدئاً بصامت مماثل الصّامت الذي خُتم هو به^(١)، وأساس ذلك هو ميل العينة الأولى إلى كسر كاف المخاطبة، وميل العينة الثانية إلى تسكينها، وبهذا يكمن الاختلاف في تغيير المقاطع كما ونوعاً.

وتشيع هذه الظاهرة في لغة أهل جنوبي الأردنّ عامّة، إلا أنّ الطلاب الذكور من عينة الدراسة الأولى يحاولون الابتعاد عنها على الرغم من صعوبة ذلك، أما الطالبات من تلك العينة، فيحرصن على الابتعاد عنها؛ سعياً إلى التلطف والتمدّن أو التجميل اللغوي أكثر من الذكور.

٤. إمالة الفتحة القصيرة نحو الكسرة القصيرة

والإمالة هي "أن يُنحى بالفتحة نحو الكسرة، وسببها قصْدُ المناسبة لكسرة أو ياء، أو لكون الألف منقلبة عن مكسور أو ياء، أو صائرة ياء مفتوحة..."^(٢)، أو هي "أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيراً وهو المحض. ويقال له: الإضجاع، ويقال له: البيطح، وربما قيل له الكسر أيضاً"^(٣). وإمالة الفتحة القصيرة نحو الكسرة القصيرة، خاصّة قبل هاء التأنيث، سمة صوتية غالبية في نطق أهل جنوبي الأردن، ومن أمثلة ذلك في لهجة أفراد العينة الأولى قولهم: إجباريَّة بدلاً من إجباريَّة، واختياريَّة بدلاً من اختياريَّة، وموتيه بدلاً من مؤتته. ويصعب على أفراد العينة الأولى التخلّص من هذه الظاهرة الصوتية تماماً في أثناء النطق، خاصّة في بداية الدراسة الجامعية، إذ تحتاج إلى وقت طويل لتتلاشى شيئاً فشيئاً. وقد وردت هذه الظاهرة عند طلبة السنتين الثالثة والرابعة بنسبة أقل قياساً بطلبة السنتين الأولى والثانية.

٥. التخلّص من الهمز

تخلّصت بعض القبائل العربية، منذ القدم، من صوت الهمزة^(٤)؛ لصعوبة نطقه، إذ يحتاج نطقه إلى جهد عضلي كبير، وهذه الظاهرة اللهجية سمة من سمات النطق القرشي وتكاد تجمع

(١) عبد التّوّاب، رمضان. فصول في فقه العربية، ص ١٩٤-١٩٥، والمقطع الصوتي الرابع هو المقطع الطويل المغلق بصامت (ص ح ح ص) وهو الذي يُحدّ بصامتين: الأوّل في بدايته، والثاني في نهايته، وأما نواته، فتكون صوتاً صائناً طويلاً. (انظر: أنيس، إبراهيم. ١٩٧٩) الأصوات اللغوية، دار الطباعة الحديثة، ط ٥، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ١٦٧، وعبابنة، يحيى (٢٠٠٠)، دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، دار الشروق، عمان. الأردن، الطبعة الأولى، ص ١٨-١٩.

(٢) الأسترابادي، رضيّ الدين (ت ٦٨٨هـ) شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهد لعبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) تحقيق محمّد نور الحسن ومحمّد الرّزاف ومحمّد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة: ٤/٣.

(٣) ابن الجزري، أبو الخير محمّد بن محمّد الدمشقي (ت ٨٣٣ هـ)، النّشر في القراءات العشر، قدّم له علي محمد الضّباع، خرّج آياته زكريّا عميرات، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م: ٢/٢٤.

(٤) انظر: سيبويه، الكتاب: ٣ / ٥٥١ - ٥٥٣، وابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (١٩٩٤)، لسان العرب، ط ٣، دار صادر، بيروت: ١ / ١٨ - ٢٢، وابن الجزري، النّشر في القراءات العشر: ١ / ٣٠٣ - ٣٠٤، وأنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية: ٧٥ - ٧٦.

الروايات على أن القرشيين يتخلّصون منها بحذفها أو تسهيلها أو قلبها إلى حرف مد^(١)، ومن أمثلة ذلك قولها راس في رأس، وكلا الدّين بدلاً من كلاً، بمعنى تأخر، وتناً بالمكان بمعنى أقام وتناً "بلا همز"^(٢). وقد استمرت تلك الظاهرة أيضاً حتى يومنا هذا، فمعظم اللهجات العربية الحديثة تميل إلى التخلّص من هذا الصّوت^(٣)، وقد برزت هذه الظاهرة في نطق العينتين، إلا أن العينة الأولى تفرّدت في حذفها له في بعض الكلمات، نحو قولهم: عطاني بدلاً من أعطاني، وهلي بدلاً من أهلي، ومؤته بدلاً من مؤته.

٦. القلب المكاني

وهو ظاهرة لهجية قديمة، يراد بها: أن يحلّ صوت مكان صوت آخر تبادلياً في الكلمة نفسها، مع اتّحاد المعنى في اللفظين: الأصل والمقلوب، وهي ظاهرة صرفية صوتية تمثل شكلاً من أشكال التطور اللغوي في الألفاظ دون المعاني^(٤). وتمثل تلك الظاهرة عاملاً من عوامل إغناء اللغة العربية في مفرداتها، ويمكن تعليلها، كما يرى معظم المحدثين من علماء اللغة، بنظرية السهولة والتيسير في الجهد العضلي والذهني عند التلفّظ بالكلمات، وقد يكون بعضه من اختلاف اللهجات^(٥).

ومن أمثلتها في المستوى الفصيح: "جَبَدَ جَبْدًا: لغة في جَدَب"^(٦)، و(جَبَدَ) تميمية^(٧)، و(جَبَدَ) تميمية^(٨)، وقد ذكر الفيومي: "اضمحل الشيء اضمحلاً ذهب وفنى، وفي لغة امضحلّ بتقديم الميم..."^(٩)، وورد في لسان العرب: "وقال اللحياني: عنى لغة أهل الحجاز،

(١) أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، ص ٧٥، وانظر للمؤلف نفسه: الأصوات اللغوية، ص ١١٥-١١٦.
 (٢) انظر: سيوييه، الكتاب: ٣/ ٥٤٣، وابن منظور، لسان العرب: ١/ ٤٧، والفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ (١٩٢٨)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط ٧، المطبعة الأميرية، القاهرة: ١٩٤١/٢.
 (٣) عبد التّوّاب، رمضان. (١٩٨٣) التطور اللغوي مظاهره وعلاجه وقوانينه، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرّفاعي بالرياض، الطبعة الأولى: ٤٧ - ٤٨، والخليل، عبد القادر مرعي والقاسم، يحيى (١٩٩٦)، لهجة الكرك: دراسة وصفية تاريخية في الأصوات والأبنية، منشورات جامعة مؤتة، الكرك، ط ١، ص ٨٤.
 (٤) وقد كتب عبد الفّتاح الحموز كتاباً متخصصاً في هذا الموضوع عنوانه: ظاهرة القلب المكاني في العربية: عللها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها، منشورات جامعة مؤتة، دار عمّار - عمان ومؤسسة الرّسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، وانظر: المعاينة، ريم. (٢٠٠٨) بنى الإفعال في معاجم الأفعال: دراسة صوتية صرفية، أزمنة للنشر، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ص ٨٧-١٠٠.
 (٥) انظر: بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٨٠، وبيرجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص ٣٥، وعبد التّوّاب، رمضان، التطور اللغوي، ص ٥٧ - ٦٠، والحموز، عبد الفّتاح، ظاهرة القلب المكاني، ص ٤٧ - ٤٩، وعبده، داود، أبحاث في اللغة العربية: ١٣١، ١٣٣، وعمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي ص ٣٩١.

(٦) ابن منظور، لسان العرب: ٣/ ٤٧٨.

(٧) انظر: المصدر السابق: ١/ ٢٥٨، والفيومي، المصباح المنير: ١/ ١٢٢.

(٨) الفيومي، المصباح المنير: ٢/ ٢٨٩.

الحجاز، وهي الوجه، وعاء لغة بني تميم، قال: وهم يقولون: ولا تعيثوا في الأرض...^(١) و(هلع) بمعنى حزن في لغة تميم، وغيرهم يقولون عليه^(٢)، وغيرها من الأمثلة.

أما الأمثلة عليها في لهجاتنا العربية الحديثة، فكثيرة أيضاً، نحو: مسرح ومسرح، وزوج وجوز، وأبله وأهبل، وملعقة وملعقة وغيرها. وقد سُمعت تلك الظاهرة عند أفراد العينتين، ولكن بعض أفراد العينة الأولى انفردوا في كلمات محدودة، نحو: إطعيني بدلاً من أعطني الفصيحة، وأعطيني المدنية عند أفراد العينة الثانية.

إذن، فقد لوحظ أن عينة الدراسة الأولى، تجاهد نفسها للابتعاد عن هذه الظواهر الصوتية في أثناء وجودها في الجامعة، ولكنها تعود إليها في خارجها، ويبرز ذلك عند الإناث من عينة الدراسة الأولى بروزاً أوضح منه عند الذكور؛ تكيفاً مع البيئة الجامعية، وبحثاً عن التجميل اللغوي، واستشعاراً للرقي والرفقة، خاصة حينما تتحدث مع الطلاب الذكور^(٣)، ولأن بيئة الجامعة بعامّة تفضل الفصحى وتدعو إليها؛ لذا تستعمل تلك العينة أشكالاً وأنماطاً لغوية متناسبة معها.

وقد يسخر أفراد مجتمع الدراسة من الطالب الذي ينطق مفرداً ما نطقاً منفرداً ومختلفاً عن نطق بقية أفراد مجتمع الدراسة لها؛ لهذا، كما قلت، يسعى هذا الطالب إلى تجنب هذا النطق في تعامله مع أفراد مجتمع الدراسة، ويحاول مراعاة الأعراف اللغوية الاجتماعية السائدة في البيئة الجامعية، وهو بذلك يتجنب الضغوط النفسية والاجتماعية، التي يتعرض لها نتيجة تفرده في تلك البيئة بهذا النطق^(٤).

ويبرز هذا الشعور وتظهر هذه المحاولات عند طلاب العينة الأولى إناثاً وذكوراً، إذا دخلوا بيئة جامعة مؤتة، ولكنه يبرز بروزاً أكثر عند دخولهم بيئة الجامعة الأردنية؛ لأن المدنية تشيع في لغتها، وهي لغة (لهجة) العينة الثانية من مجتمع الدراسة، وفيها ظواهر لهجية عدّة منها:

١. ظاهرة التخلص من الأصوات بين الأسنان (الثاء والذال والظاء)

بحثاً عن التجميل اللغوي والسهولة والتيسير؛ إذ يحتاج نطق هذه الأصوات إلى جهد عضلي كبير؛ لذا ظهر ميل نحو تيسير نطقها بإبدالها؛ إذ أبدلت الثاء تاءً أو سيناً، والذال دالاً أو زايماً، والظاء ضاداً أو زايماً مفخمة، وقد ورد في العربية، منذ القدم، أمثلة على تلك التبدلات، فمن الأمثلة على إبدال الثاء تاءً: كَنَحْتُ السَّيْرَ وَكَنَحْتُهُ بمعنى كَشَفْتُهُ^(٥)، ومن الأمثلة على إبدالها سيناً: أَثَجَمْتُ السَّمَاءَ وَأَسَجَمْتُ بِمَعْنَى صَبَّتُ^(٦). ومن الأمثلة على إبدال الذال دالاً: ادْرَعَفْتُ الإِبِلَ

(١) ابن منظور، لسان العرب (عيب): ١٧٠/٢.

(٢) السرقسطي، الأفعال: ١٧٢/١.

(3) Montgomery, Martin (1995). An Introduction to language and society, Rout ledge, Taylor & Francis, London and New York, second edition, P: 159.

(٤) عميرة، إسماعيل. تطبيقات في المناهج اللغوية، ص ٢٠١.

(٥) ابن منظور، لسان العرب: ٥٦٩/٢.

(٦) المصدر السابق: ١٢/٧٦، ٢٨١.

الإبلُ وأذرعفت: إذا أسرعَتْ واستقامت^(١)، ومن أمثلة إبدالها زايًا: بزرتُ البزْرَ وبذرتُ البذْرَ^(٢)، أما إبدال الظاء زايًا مفخمة فمن أمثلته: نَسَرَ ونَسَطَ بمعنى ارتفع^(٣)، ويقال: العِضْلانُ والعِضْلانُ لضربٍ من الفأر أو الجرذان^(٤).

ومن الأمثلة على تلك الظاهرة عند أفراد العينة الثانية قولهم: ثلاثة بدلاً من ثلاثة، وسابت بدلاً من ثابت، والذهب بدلاً من الذهب، وهادا بدلاً من هذا، وكزب بدلاً من كذب، وضافر بدلاً من ظافر، وفزيع (بزي مفخمة) بدلاً من فزيغ وغيرها.

٢. ظاهرة إبدال القاف همزة

يحتاج نطق صوت الهمزة إلى جهدٍ عضلي كبير، كما ذكر سابقًا؛ لذا، ظهر ميل في معظم اللهجات العربية، منذ القدم حتى يومنا هذا، وخاصة في لهجات الحضر، نحو التخلّص منه بإسقاطه أو بإبداله، وعلى الرغم من ذلك، نجد أنّ من العرب القدامى من أبدل القاف همزة، نحو قولهم: أشبّه وقشبه إذا لامه وعابه، والأفز والقفز: الوثب، وزُهاق مائة وزهاق مائة كقولهم: وزهاق مائة وزهاق مائة^(٥). وقد استمرت هذه الظاهرة في بعض اللهجات العربية الحديثة، فاختار الناطق العربي في العصر الحديث ما هو أصعب نطقًا؛ ولعلّ هذا ناتج من الرغبة في التمدّن؛ فهذا التحوّل صار مظهرًا من مظاهر التحدّث، وهو استجابة لعوامل نفسية اجتماعية تجعل الغلبة له^(٦)، وقد ظهرت هذه الظاهرة بوضوح في نطق أفراد العينة الثانية، ومن أمثلة ذلك قولهم: أبل بدلاً من قبل، وأسم بدلاً من قاسم، وألم بدلاً من قلم وغيرها.

٣. ظاهرة ترقيق الطاء

قد يقترب نطق الطاء من التاء؛ سعيًا للتسهيل والتيسير، فالترقيق أسهل من التثخيم، ومن أمثلة هذه الظاهرة في بعض اللهجات العربية القديمة: هطلت السماء وهتلّت، إذا صبّت المطر، وغتّه في الماء وغطّه^(٧)، وقد استمرت هذه الظاهرة في بعض اللهجات العربية الحديثة، وعُدّت وعُدّت مظهرًا من مظاهر التحدّث، ومن الأمثلة عليها عند أفراد العينة الثانية قولهم كلية التّب بدلاً من الطب، وتالب بدلاً من طالب ...

- (١) ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب. (١٩٧٨) الإبدال، تقديم وتحقيق حسين محمّد محمّد شرف، مراجعة علي النجدي ناصف، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية: ص ١٤٠.
- (٢) أبو الطيّب اللغوي، عبد الواحد بن عليّ الحلبيّ (ت ٣٥١هـ) الإبدال، تحقيق عزّ الدين التتوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م: ٧/٢.
- (٣) السرقسطي، أبو عثمان سعيد بن محمّد المعافريّ (ت بعد ٤٠٠هـ) الأفعال، تحقيق حسين محمّد محمّد شرف، مراجعة محمّد مهديّ علام، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٩٢ م: ٣/٢٠٠.
- (٤) أبو الطّب اللغوي، الإبدال: ٢/٢٧١.
- (٥) أبو الطّب اللغوي، الإبدال: ٢/٥٦١-٥٦٢.
- (٦) عمارة، إسماعيل، تطبيقات في المناهج اللغوية، ص ٢٠٤، وانظر: الزّعي، أمنة. (٢٠٠٥) في علم الأصوات المقارن، التّغْيَرُ التّاريخي للأصوات في اللغة العربيّة واللغات السامية، دار الكتاب التّقافي، إربد - الأردن، ص ١٥-١٦.
- (٧) أبو الطّب اللغوي، الإبدال: ١/١٢٦-١٣٤.

٤. نطق الجيم المركبة (ج)

من الدال الشديدة والشين الرخوة، جيماً شامية احتكاكية (ج)، أي شيناً مجهورة؛ بحثاً عن السهولة والتيسير، إذ يُكسب التركيب الذي في الجيم صعوبة في النطق. والجيم الشامية من الأصوات غير المستحسنة عند سيبويه^(١)، ومن الأمثلة القديمة على هذا النطق: هَبَشَ وَهَبَجَ: وهو الدق، ومكان شاس وجاس، بمعنى مرتفع^(٢)، والمُدَمَج والمُدَمَّش، أي المستقيم^(٣). وقد استمر هذا النطق في بعض اللهجات العربية الحديثة في المدن الحضرية؛ لذا سُمع عند أفراد العينة الثانية الذين يقطنون مدينة عمّان، فيقولون مثلاً: مادة إجبارية بدلاً من إجبارية، والجامعة بدلاً من الجامعة. وتوجد ظواهر صوتية أخرى يصعب ذكرها في هذه الدراسة لكثرتها.

إذن فقد لوحظ أن العينة الأولى من مجتمع الدراسة حاولت الاستجابة إلى حد ما للهجة السائدة في بيئة الجامعة الأردنية، التي أخذت قسطاً من الحضارة والمدنية، فعندما نطقت إحدى طالبات هذه العينة كلمة (شُعْبَتِك): (شُعْبَتِك) في مجتمع الجامعة الأردنية، الذي ينطقها - كما ذكر سابقاً - شُعْبَتِك، شعرت بالحرج والسخرية من مستمعيها؛ لأن هذا النطق يعكس البيئة التي تعيش فيها تلك الطالبة، وهي بيئة معروفة، غالباً، بالفقر والبعد عن مظاهر الحضارة، و(الموضات) و(الماركات)، التي تركز عليها كثير من فتيات الجامعة، وتقلل من قيمة الطالبة التي لا تهتم بها، فكان هذا سبباً للابتعاد عنها، وعدم التعامل معها، خاصة إن كانت غير متميزة علمياً؛ لهذا حاولت في استعمالات أخرى مشابهة لهذا الموقف اللغوي، أن تراعي في سلوكها اللغوي الاجتماعي الظواهر الصوتية السابقة الذكر، التي تشيع في لغة العينة الثانية، طلاب الجامعة الأردنية، لا سيما أن الإناث يتفوقن على الذكور في اكتساب اللهجة المدنية، كما أنهنَّ يطورنَّ مهارتهن اللغوية - على الأقل خلال مرحلة الدراسة - وربما كان ذلك نتيجة حساسيتهن نحو أي تعليقات سلبية^(٤)؛ لذا تحاول هذه الطالبة أن تختار من اللهجة ما يدل على أنوثتها^(٥)، كما أن الفتيات أكثر ميلاً لاتباع طريقة النطق الحديث؛ لذا فدورهن في التطور الصوتي أكبر خطراً من دور الرجال؛ لأنهنَّ "لا يعشنَّ جيلهنَّ فحسب، بل يشاطرنَّ الأجيال الناشئة حياتهم كذلك، فهنَّ أكثر من الرجال صلة بالطفل والفتى..."^(٦)، ونجدها عندما كانت تعود إلى مكان إقامتها تعود معها أيضاً لهجتها بأصواتها بين الأسنان، وبأصواتها المفخمة، وبميلها نحو الإمالة... إلخ، وإن

(١) سيبويه، الكتاب: ٤/٤٣٢.

(٢) الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق (ت ٣٣٧ هـ). الإبدال والمعاقبة والنظائر، تحقيق عز الدين التتوخي، ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٥٨.

(٣) ابن منظور، لسان العرب (دمج) ٢/٢٧٤.

(٤) عمر، أحمد مختار، اللغة واختلاف الجنسين، ص ٢٥-٢٦.

(٥) علوان، محمد السيد، المجتمع وقضايا اللغة، ص ١٤٥.

(٦) أوتوجسبرسن. (١٩٥٤) اللغة بين الفرد والمجتمع، ترجمة عبد الرحمن أيوب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ٣٦.

شابهها شيء من التغيير، فمن الخطأ التصور بأن لغة الفرد تثبت على حال واحدة، فهي في تغير دائم^(١).

وتجدر الإشارة إلى أنه يصعب على الطالبة إتقان اللهجة المدنية تلك إتقاناً كبيراً وكاملاً، فلا بد أن تتقنت منها بعض المظاهر اللغوية الدالة على بيئتها، يقول محمود السمران: "إن تغيير الفرد للغة المفصحة عن وضع طبقي معين حتى تصبح مثيلة للغة طبقة أعلى أو أدنى، أو للغة طائفة أخرى من طوائف نفس الجماعة الكلامية لأمر جد عسير، وهو يحتاج إلى طول مران، وتعلم شاق، وحتى بعد هذا فقد تند عن الفرد ألفاظ أو تعبيرات تدل على أنه دخيل على هذه الطبقة الجديدة لا أصيل فيها"^(٢). وتزداد درجة الإتقان للهجة في السنوات الأخيرة في الجامعة، وتقل في العطل الفصلية الدراسية؛ لقلة استخدام تلك اللهجة في أثنائها، إذ يعيب أهل الريف من يقد منهم لهجة العاصمة، ولكنهم بعد فترة من الزمن لا يلبثون أن يرضخوا - إلى حد ما - للأمر الواقع، فيسلموا بالتغيرات اللغوية، التي تعتور لهجة بناتهم وأبنائهم، الذين يدرسون في العاصمة^(٣)، فالعوامل النفسية والاجتماعية تضغط على هؤلاء الطلبة، فتجعلهم أكثر استجابة للهجة المدنية؛ "لأنها ارتبطت بمستوى مدني أنعم من مستوى الريف والبادية وما فيهما من خشونة نسبية"^(٤).

أما أفراد العينة الأولى الذكور، فإنهم يحاولون أيضاً - إلى حد ما - التخلص من الظواهر اللغوية الصوتية البارزة، التي تميزهم عن غيرهم، خاصة عند مخاطبتهم الإناث، وهذا يؤكد أثر المستمع في المتكلم، ويختلف الأمر إذا كان المستمع رجلاً أو صديقاً، إذ يستعمل حينذاك لغة (لهجة) عادية يحددها الموقف، ونوعية العلاقة القائمة بين الطرفين^(٥)، ولكنهم أيضاً لم يرغبوا في نطق الظواهر الصوتية البارزة لتلك البيئة المدنية؛ لأنهم كانوا يشعرون أن استخدامهم للهجة المدنية مما يقلل من رجولتهم، فالرجل عامّة يميل إلى ما فيه غلظة^(٦)؛ لذا مالوا في نطقهم إلى لغة العلم السائدة في البيئة الجامعية، التي تبتعد عن أي ظواهر صوتية مميزة.

وعندما جاء أحد أفراد العينة الثانية ليدرس في جامعة مؤتة، وبدأ الحديث مبدلاً للقاف همزة، والجيم الانفجارية المعطشة جيماً شامية احتكاكية، ومحولاً الأصوات بين الأسنان إلى أصوات وراء أسنانية، ومرقفاً الطاء، شعر بالحرج، إذ كان حديثه موضع سخرية وازدراء من مستمعيه؛ لهذا حاول جاهداً في المرات اللاحقة أن يتحاشى حدوث مثل ذلك، مجاراة للأكثرية في سلوكها اللغوي^(٧). والأمر يختلف مع طالبات هذه العينة، إذ كنّ يحاولن التمسك بالظواهر

(١) انظر: السمران، محمود، اللغة والمجتمع، ص ٥٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٨.

(٣) أتوجسبرسن. اللغة بين الفرد والمجتمع، ص ١٩٥.

(٤) عميرة، إسماعيل. تطبيقات في المناهج اللغوية، ص ٢٠٤.

(٥) لطف، مصطفى. اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، ص ٦٩.

(٦) علوان، محمد السيد. المجتمع وقضايا اللغة، ص ١٤٦، وبرهومة، عيسى. (٢٠٠٠) اللغة والجنس حفريات

لغوية في الذكورة والأنوثة، دار الشروق - عمان، ص ١٢٤.

(٧) عميره، إسماعيل. تطبيقات في المناهج اللغوية، ص ٢٠٤.

اللهجية المدنية في تلك البيئة؛ لاستشعارهن الرقي والتجميل اللغوي؛ ولإرضاء رغباتهن في التميز عن غيرهن من طالبات الجامعة، فتبقى قاسم عندهن أسم، وثلاثة ثلاثية، وطالب نال، وفضيع فزيع... بل قد تستغل بعضهن ذلك لتسهيل بعض الإجراءات الجامعية، فالمجتمع الذكوري عامة يميل نحو الجنس اللطيف، خاصة إذا تحدثت بلهجة رقيقة جميلة، خفيفة الوقع على السمع، فيها تنعيم يميز بأنه أكثر عاطفة.

الخاتمة

توصلت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية

١. أن الظواهر اللغوية الصوتية المستخدمة في لهجاتي العينيتين تعد استمراراً لظواهر لهجية عربية قديمة.
٢. أن ثمة فروقاً لغوية صوتية واضحة بين لغة الطالبات ولغة الطلاب في الحرم الجامعي.
٣. أن التغيرات اللغوية مرتبطة بعوامل ومواقف اجتماعية، وأخرى نفسية، وهي رهينة الزمان والمكان، فالطالب غالباً، بصرف النظر عن جنسه، لا يبقى على لهجته الخاصة كما هي، إذا ما انتقل إلى بيئة الجامعة، بل تظهر عنده لغة جديدة تتناسب ولغة المجتمع الطلابي؛ فيتلصص من بعض الخصائص اللهجية المميزة له عن غيره، وهو بذلك ينوع في كلامه وفق تنوع البيئة وتنوع سامعيه، ووفق تنوع أوضاعه ونشاطه، فهو يختار السلوك اللغوي المناسب لكل موقف.
٤. ثمة ظواهر صوتية في لغة (لهجة) أفراد العينيتين تختفي أو تُعدّل غالباً عند دخول الحرم الجامعي، والطالبات أمهر في ذلك من الطلاب، وهذا يعود إلى عامل الخجل لدى الإناث، فطالبات العينة الأولى يجاهدن أنفسهن للتخلص من تلك الظواهر؛ لتفادي الحرج والسخرية، ولئلا يعرف الآخر البيئة الفقيرة، التي ينحدرن منها غالباً، ولإظهار الثمن والرقى والرقعة اللغوية.
٥. أن أفراد العينة الأولى الذكور يرفضون عادةً تغيير لهجتهم إلى لهجة أهل المدينة أو لهجة أفراد العينة الثانية؛ إثباتاً لرجولتهم، إلا إذا تحدثوا مع الجنس اللطيف، في حين يحاول أفراد العينة الثانية الذكور، إن وجدوا في بيئة غير مدنية، تغيير لهجتهم؛ مجارةً للأكثرية في سلوكها اللغوي، ولتفادي الحرج والسخرية من أفراد العينة الأولى الذكور.

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

- الأستراباذي، رضي الدين. (ت٦٨٨هـ). شرح شافية ابن الحاجب. مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ). تحقيق: محمد نور الحسن. ومحمد الزفراف. ومحمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة حجازي. القاهرة.

- أنيس، إبراهيم. (١٩٩٥م). الأصوات اللغوية. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة.
- أنيس، إبراهيم. (١٩٦٥م). في اللهجات العربية. ط٣. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة.
- أوتوجسيرسن. (١٩٥٤م). اللغة بين الفرد والمجتمع. ترجمة: عبد الرحمن أيوب. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة.
- برهومة، عيسى. (٢٠٠٠م). اللغة والجنس. حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة. دار الشروق. عمان.
- بشر، كمال. (١٩٩٧م). علم اللغة الاجتماعي مدخل. ط٣. دار غريب. القاهرة.
- بيارأشار. سوسيولوجيا اللغة. تعريب: عبد الوهاب ترو. منشورات عويدات. بيروت.
- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي. (ت ٨٣٣ هـ). (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م). النثر في القراءات العشر. قَدِّمَ له: علي محمد الضَّبَّاع. خرَجَ آياته. زكريا عميرات. ط٢. دار الكتب العلمية. بيروت.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (ت ٣٩٢ هـ). (١٩٩٠م). الخصائص. ط٤. تحقيق: محمد علي النجار الهيئة المصرية العامة للكتاب. ودار الشؤون الثقافية العامة. بغداد.
- الحموز، عبد الفتاح. (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م). ظاهرة القلب المكاني في العربية. عليها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها. ط١. دار عمَّار. منشورات جامعة مؤتة. عمان. ومؤسسة الرسالة. بيروت.
- خرما، نايف. (١٩٧٩م). أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة. ط٢. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت.
- الخليل، عبد القادر مرعي. والقاسم، يحيى. (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م). لهجة الكرك. دراسة وصفية تاريخية في الأصوات والأبنية. ط١. منشورات جامعة مؤتة. الكرك.
- الزَّجَاجِي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق. (ت ٣٣٧ هـ). (١٩٩٣م). الإبدال والمعاقبة والنظائر. ط٢. تحقيق: عزَّ الدين التَّنُوخِي. دار صادر. بيروت.
- الزَّعْبِي، أمانة. (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م). في علم الأصوات المقارن. التَّغْيِيرُ النَّارِيخِي لِلأصوات في اللغة العربية واللغات السَّامِيَّة. دار الكتاب النَّقَافِي. إربد. الأردن.
- السَّرْقَسْطِي، أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري. (ت بعد ٤٠٠ هـ). (١٩٩٢م). الأفعال. تحقيق: حسين محمد محمد شرف. مراجعة: محمد مهدي علام. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. القاهرة.
- السمران، محمود. (١٩٩٢م). علم اللغة. مقدِّمة للقارئ العربي. دار الفكر العربي.

- السمران، محمود. (١٩٦٣م). اللغة والمجتمع. ط٢. دار المعارف.
- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب. (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م). الإبدال. تقديم وتحقيق: حسين محمد شرف. مراجعة: علي التّجدي ناصف. مجمع اللغة العربيّة. الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة. القاهرة.
- سيوييه، أبو بشر عمرو بن عثمان قنبر. (١٨٠هـ). الكتاب. ط١. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الجيل. بيروت.
- السيد، صبري إبراهيم. (١٩٩٥م). علم اللغة الاجتماعي. مفهومه وقضاياها. ط١. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.
- السيوطي، أبو بكر جلال الدين. (ت ٩١١هـ). المزهر في علوم اللغة وأنواعها. شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك. ومحمد أبو الفضل إبراهيم. وعلي محمد الجاوي. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.
- شتاء، السيد علي. (١٩٩٨م). علم الاجتماع اللغوي. مركز الإسكندرية للكتاب.
- أبو الطيّب اللغويّ، عبد الواحد بن عليّ الحلبيّ. (ت ٣٥١هـ). (١٣٨٠هـ - ١٩٦١م). الإبدال. تحقيق: عزّ الدين التّوخي. مجمع اللغة العربيّة. دمشق.
- عبابنة، يحيى. (٢٠٠٠م). دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربيّة. ط١. دار الشّروق للنشر والتّوزيع. عمّان.
- عبد التّوّاب، رمضان. (١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م). التطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه. ط١. مكتبة الخانجي. القاهرة. ودار الرّفاعي، الرّياض.
- عبد التّوّاب، رمضان. (١٩٩٤م). فصول في فقه العربيّة. ط٣. مكتبة الخانجي. القاهرة.
- عبده، داود. (١٩٧٣م). أبحاث في اللغة العربيّة. بيروت. مكتبة لبنان.
- علوان، محمد السيد. (١٩٩٥م). المجتمع وقضايا اللغة. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.
- عمابرة، إسماعيل. (٢٠٠٠م). تطبيقات في المنهاج اللغوية. ط١. دار وائل للنشر. عمّان.
- عمر، أحمد مختار. (١٩٩١). دراسة الصوت اللغوي. عالم الكتب. القاهرة.
- عمر، أحمد مختار. (١٩٩٦م). اللغة واختلاف الجنسين. ط١. عالم الكتب. القاهرة.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن عليّ المقرّي. (ت ٧٧٠هـ). (١٩٢٨م). المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير. ط٧. المطبعة الأميرية. القاهرة.
- لطفي، مصطفى. (١٩٧٦م). اللغة العربيّة في إطارها الاجتماعي. دراسة في علم اللغة الحديث. ط١. معهد الإنماء العربي. بيروت.

- ماريوباي. (١٩٧٣م). أسس علم اللغة. ترجمة: أحمد مختار عمر. جامعة طرابلس.
- المعاينة، ريم. (٢٠٠٨). بني الأفعال في معاجم الأفعال دراسة صوتية صرفية. ط١. أزمنة للنشر. عمان. الأردن.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (ت ٧١١ هـ). (١٩٩٤م). لسان العرب. ط٣. بيروت. دار صادر.
- الموسى، نهاد. (١٩٨٠م). نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث. ط١. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- هرسون. (١٩٩٠م). علم اللغة الاجتماعي. ط٢. ترجمة: محمود عياد. مراجعة: نصر حامد أبو زيد. و محمد أكرم سعد الدين. عالم الكتب. القاهرة.
- وافي، علي عبد الواحد. (١٩٦٢م). فقه اللغة. ط٥.
- وافي، علي عبد الواحد. (١٩٧١م). اللغة والمجتمع. الفجالة. دار نهضة مصر. القاهرة.
- Coulmas, Florian. (2005). *Sociolinguistics: The Study of Speaker's Choices*. First Published. Cambridge University Press.
- Montgomery, Martin. "An Introduction to language and society, London and New York. Routledge. Taylor & Francis. Second edition, 1995.
- R. A. Hudson. (1996). *Sociolinguistics, Second Edition*, Cambridge University Press.
- Safra, Jacob E. "The Encyclopedia Britannica, Chairman of the Board Ilan Yeshua, Chief Executive Officer, 15th Edition.
- The Encyclopedia Americana, Printed and Manufactured In U S A.
- The World Book Encyclopedia, World Book International, A Scott Fetzer Company, Printed in U S A.
- Wardhaugh, Ronald. *An Introduction to Sociolinguistics, Third Edition*, Blackwell Publishers, 1998.